11/10/2019

بين الصوت والضوء، خبرةٌ من قلب الأمسية الأنطاكية " بالمجد والكرامة كللهم "



بقلم الأستاذ إيليا الهبر

في أحد الأمسية الأنطاكية " بالمجد والكرامة كللهم " كان دوري أن أقرأ ثالث قراءاتٍ، الأولى من القديس كيرلس الاسكندري ، الثانية من سفر هوشع والثالثة من العلامة ترتليانوس . كانت الوقفة هيّابة إذ جعلني الحدث في وسطه تمامًا: أمامي جمهورٌ من عائلات تحلّقوا حول آباء المجمع الأنطاكي المقدّس يتوسّطهم صاحب الغبطة ، ورائي مرتلون وفدوا من كل أنطاكية ، اصطفوا جوقًا منتظمًا تحت ضوء شاشةٍ رقميّة كبيرة، عبارة عن مادةٍ تقدّست في تلك الليلة لتنوب عن مآقيهم الظمأى إلى الندى النظري لعيون الحاضرين وبضوئية حركية قرّبت إليهم مشاهد من الحياة الكنسية وأيقونات القديسين. فبين الصوت والضوء تلاقت أصوات الأرض مع أنوار السماء، كما عبّر صاحب الغبطة في كلمته عند انتهاء الأمسية.

عند تلاوتي القراءة الثالثة من ترتليانوس البالغة الروعة عن الزواج، قاطعتني طرخة طفلٍ في القاعة. طرخة الطفل أفرحت قلبي لأنها أعطت حياةً لكلمات العلامة ترتليانوس. أخذتني هذه الصرخة إلى آخر كلمات أحد كبار لاهوتيي القرن

الماضي الأب ألكسندر شميمن (1983 +) يوم وقف في الباب الجميل قبل انتقاله بأيّام أو أخرج من جيبه ورقةً كتب عليها صلاة الخريف، صلاة شكر. ومن ضمن ما شكر الله عليه ، قال: ” أشكرك اي رب على عائلتنا ، الأزواج ، الزوجات وبخاصةٍ الأولاد الذين يعلّمونني كيف نحتفل باسمك المبارك بفرحٍ وحركة وضجة مقدّسة. ” .
ليتابع خاتمًا بكلمات بطرس : ” اي رب حسنٌ أن نكون هنا ” .
من هذا القبيل، أصاب صاحب الغبطة عندما أراد أن يربط بصورةٍ حيّةٍ بين الأمسية الروحية وموضوع اللقاء المجمعي أعني العائلة، عندما التفت إلى أعضاء الوفد سائلًا أفرادها : أتستمر أبناء عائلات ؟ ما هذا نحن نسعى لأن نحميه.
وعن الأمسية، إلى جانب موقعها المكاني في البلمند ، والزماني في وقت انعقاد المجمع ؛ تكمن أهمية الأمسية في النواحي التالية:

1- أنّ الخبرة الأنطاكية تكتنف إلى التراث الرهباني ، تراثًا للعائلات . فبكل أمانةٍ للحّن وضبط الإيقاع البيزنطي ، كانت الكلمات التي وصلت إليها الوفود من الأنطاكية من كتابية وآبائية باكورة عملٍ وضع المؤمنين والمؤمنات من حبيبين مقبلين إلى الزواج ، وزوجين بدءا مشوارهما أو بلغا نصفه أو أكثر، وابنٍ وبنت يعيشان في كنف عائلة ، على مساحةٍ واسعة من القداسة المرتجاة ، هذه القداسة التي يعلم كلّ ويقرّ بأنها غير محصورة بالأديرة .

كما اعتادوا أن يأتي به هذا العمل وهو أنّه جعل المؤمنين ” العائشين في العالم ” يشعرون أنفسهم وكأنهم جزءًا حيًا من الجماعة الليتورجية الكنسية ، وهذا حق . لا بل من يعرف خزانة التراث الأنطاكي ، يستطيع ان يقول بأنّ هذا غيضٌ من فيض.

وقد قال أحد آباء أديرتنا الأنطاكية لصديقي مع زوجته وهما أبٌ وأمٌ لأربعة أولاد ، وكأنّ أحدٌ في سيارتي (عنى بها كيانه) أسلك الطريق صعودًا ، أمّا شجعهما قال : أنا واحدٌ في سيارتكما مملوءة بشهادتكما في القيادة صعودًا أبلغ من قيادتي أنتما في سيارتكما !

2- في زمن التشرذم في العالم الراهن ، كان تقارب المرتلين من مختلف الكنيسة الأنطاكية ، شهادةً واعترافًا حيًا على الوحدة المشرقية الموسيقية في المشرب الذي يلفّ أديم الشهادة التي تتميز بها انطاكية في امتدادها.

كان التلاقي بين الفردي والجماعي في الترتيل والأداء تأكيدًا على الانسجام في التمايز. هذا، عندما تمّ بروح خدمةٍ ومحبة للرب وكنيسته، حلّ هدوء في القاعة وسلام شعر بهما الجميع وعبّر عنه صاحب الغبطة في تمييزه وقراءته الروحية لمهمس الروح الواجب السجود له في الأمسية ، مكانًا ونفوسًا.

3- أنّ الجرأة كانت في الجمع بين الضوء والصوت ، لأنّ العلم قديمًا وحديثًا يؤكّد أن الصوت والصورة يكونان أقوى عندما يجتمعان. وعلى قاعدة ” الى ما يدعى إلى ما تأخذ ” كلّ شيءٍ يفتدى إلى ما يعقّب عليها المطران جورج (خضر) قائلًا: الآبائية التي وصلت المرتّلين وصور على هذه القاعدة جمعت الأمسية بين أصوات المرتّلين وصور كانت مشيئًا، ، القديسين والمشاهد الكنسية والحياتية على الشاشة الرقمية في القاعة ،

لتكون الرسالة أقوى تبليغاً. هذه كانت في رصانةٍ أفصحت عن أنّ المادة متّى حرّكها روح الرب تعلن ما تريد ان تقوله السماء. ألسنا أبناء الأيقونة والمدافعين عنها حتّى الشهادة؟

نعم ! لقد كانت هذه الأمسية تكريماً لأنطاكية : مجمعاً قريباً من أبنائه وحياتهم يعرف ما يحتاجه الشعب المؤمن ، وأوزاجاً يسعون إلى القداسة على غرار الأزواج القديسين الذين رتّلت طروباياتهم الوجوقة ، وعائلةً تسعى لأن تكون بيتاً للرب تعمل بما تناديه الحكمة في الكتاب العزيز كما صدحت الوجوقة وتركته في الأمسية . هذا من كان
ونحن من خلاله آباؤنا فيه ومن المجمع منعقدٌ اليوم ، والحدث الكنيسة الأنطاكية المتجذرة في هذه الأرض المقدسة، لا يسعني إلا أن أقول : يا رب حسنٌ أن نكون هنا !

facebook.com/semlebanon